البحث

شعر سمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم
القصيدة النبطية وقصيدة الفصحى في إبداع الشاعر سمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم

بقلم الأستاذة الدكتورة ثريا العسيلي

المقدمة:

لم يكن التفكير في الكتابة عن شعر سمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم وليد وقتنا هذا، لكن هذه الرغبة ظلت تراودني منذ زمن بعيد، طوال تلك السنوات التي عشتها في دولة الإمارات العربية المتحدة الحبيبة، يوم رأيت على شاشة التليفزيون مجموعة من الشعراء يتحلقون جلوسا ويقرأ كل منهم قصيدة من الشعر النبطي الذي أحببته وأدهشني بروعة إيقاعه وجمال صوره وروعة بلاغته؛ وأدمنت مشاهدة هذا البرنامج، ثم كانت رحلة البحث عن شعرائه ومبدعيه فتعرفت على إبداعات الشاعر (سمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم) من هذا الشعر الرائق المدهش بجمال إيقاعه، وسهولة مفرداته، وجمال صوره، ودقة معانيه، وأيضا أعجبت جدا بشعره الذي أبدعه باللغة العربية الفصحى السلسة البليغة.

والآن يسعدني تقديم شاعرنا الكبير في إبداعه المتميز الذي حاز إعجاب القراء عربيا وعالميا وترجم إلى اللغات العالمية وتغنى به كبار المطربين، ونجح في تقريب اللغة العربية السهلة الجزلة من الكثيرين سواء في الشعر النبطي أو شعر الفصحى.

وشاعرنا واحد من أحسن شعراء الشعر النبطي، وقد ترجمت كثير من قصائده إلى اللغة الإنجليزية باسم (قصائد من الصحراء) في قوائم أفضل الكتب مبيعاً، وبرع من خلالها في التعبير عن الوجدان الشعبي في أجمل صوره.

بدأ شاعرنا في نظم الشعر النبطي وهو تلميذ في المدرسة، وكان أكثرَ مَن تأثَّر بهم في هذه الموهبة؛ أبوه سمو الشيخ راشد، وأيضا تأثر بسمو الشيخ زايد.

وقصد في البداية أن ينشر قصائده بأسماء مستعارة مثل (نيداوى) و(سليط) لأنه أراد التأكد أن الناس معجبون بشعره نفسه وليس لأنه من الأسرة الحاكمة. وقد احتلت كتبه ودواوينه الشعرية قوائم أكثر الكتب رواجا ومبيعا.

كما أبدع شاعرنا القصائد الرائعة في شعر الفصحى الموزون المقفى على نهج الخليل بن أحمد حيث تأثر منذ صغره بقراءة أشعار المتنبي وأبو تمام، والبحتري وكان يأخذ دواوينهم معه في رحلاته مع والده، مما منحه القدرة على الإبداع.

وقد أعجب كبار المطربين بالكثير من أشعاره وترنموا بها فذاع صيتها وطرب بها الناس في العالم كله.

شاعرنا والشعر النبطي

الشعر النبطي، جزء مهم من ثقافة وتراث هذه الأمة وقد أبدع شاعرنا إبداعًا رائعا في هذا الفن الشعري وحقق الكثير من الترحيب والتقدير والإعجاب من جمهور المتلقين في كل مكان.

ويمثل الشعر النبطي ملمحًا هاما من الحياة في شبه الجزيرة العربية منذ القرن السادس عشر وهو السجل الوحيد للأحداث التاريخية والمعاصرة وقد تناقلته الأجيال بصورة شفوية في البداية.

وكان يسلط الضوء على إبداع سكان الخليج العربي ويمثل جذورهم التي تمتد وتعبر عن لهجتهم اليومية التي تختلف إلى حد ما عن العربية الفصحى.

ويعرف الشعر النبطي أيضًا باسم "الشعر الشعبي" و"الشعر البدوي". ويعتبر هذا الشعر من أكثر صور الأدب الشعبي ثراءً، كما يعتبر مرآة لواقع الحياة اليومية. ويمتاز بتفرد أسلوبه؛ نظرًا لبنيته الفنية الخاصة ومضمونه، وأهميته الأدبية، ووظيفته الاجتماعية، وقيمته التاريخية.

والشعر النبطي سجل للماضي، وللأحداث التاريخية؛ كما يصور المواقف التي واجهتها دول الخليج العربي وشبه الجزيرة العربية قبل تطورها في العصر الحديث.

وهناك آراء عديدة حول أصل هذه التسمية، منها أن هذا الأسلوب الشعري قد نشأ في موضع يسمى "نبط"، ورأى آخر يقول: إن مصطلح "النبطي" مشتق من الكلمة العربية "نبط" والتي تعني "ينبع من" أو "يشتق معنى كلمة من أخرى". فعندما بدأت القبائل البدوية في الجزيرة العربية تهاجر من مواطنها تغيرت لهجتها أيضًا حيث تحولت قليلاً عن الفصحى لتصبح لهجة قبلية وأصبح يعرف باسم "الشعر النبطي".

ولعل أبرز السمات التي يتميز بها الشعر النبطي عفويته؛ إذ عادة ما يكون مباشرًا في تركيبه. ولا يعني ذلك أن جودته أدنى من جودة شعر الفصحى أو أن القصائد يتم نظمها على عجل ودون تفكير؛ بل يعني ببساطة أن ناظمي الشعر النبطي كانوا يحاولون خلق أسلوب بسيط يجمع بين النزعة الفنية، والوضوح والمباشرة في التعبير. وسمات هذا الشعر الهامة أنه استطاع أن يعبر عن حياة البدو القدماء. وقد تناقلته الأجيال بنفس الطريقة الشفوية التي كان يُتناقل بها في العصور القديمة. وحقق هذا الشعر نجاحه، بفضل بساطته، وعفوية أسلوبه.

وقد تناول شاعرنا في الشعر النبطي جميع الموضوعات التي يتناولها شعر الفصحى، ومنها:

أولا: شعر الفروسية

مثال هذه القصيدة:

اسجعى يـا الـقصايدْ بـالجديدْ الـغريبْ
مـنْ شـريـفْ الـمعانى واصلـهْ لـلكمالْ

مـنْ عـجيبٍ مصفَّىَ مـا لـمثلهْ ضـريبْ
فـوقْ حـدِّ الـظنونْ وفـوقْ حَدْ الـخيالْ

لـولـوٍ في مـغاصَهْ مـظلماتْ الـغبيبْ
جـوهَـرَهْ مـايـثـمَّنْ بـالـوزونْ الـثِّقالْ

واكـتبى مـنْ حـروفٍ مـاوعـاها خـطيبْ
لـوْ (لِ قِسْ الإيادى) لى بهْ ضَرْبْ المثالْ

نَـبضْ يَسرى بـدَمّى ويـحتوينى مِـريبْ
مـنْ صـبـايِـهْ مـعـايـهْ مـا لـظـلِّـهْ زوالْ

وإنْ تـفَكَّرتْ في حـالهْ تَـرَكنى عطيبْ
يـبـتدى بـى بـحـالْ وينتهى بـى بـحالْ

وإنْ قـبضتهْ شـعاعهْ وصرتْ أحسِّهْ قريبْ
فَـرْ بـيـنْ الأصـابغْ واخـتفيَ في الـظِّلالْ

مـنْ عـرفتهْ وعـرفنى قـالْ لـى لا تـخيبْ
وقـلتْ لـهْ مـا بـخَيِّبْ لكْ مدىَ العمرْ فالْ

ومنْ علىَ الخيلْ سيرهْ بينْ صبحْ ومغيبْ
يـحـتـويهْ الـتَّـأمِّـلْ كـلِّـمـا بـــأرضْ جـــالْ

تـملكْ الـخيلْ وجـدى في هواها سليبْ
والـقَـنَصْ والـقصايدْ في وصـوفْ الـجمالْ

ثانيا: الأشعار الرومانسية

تلك الأشعار المفعمة بصور الحب المثالي، الراقي في لغته السهلة المنسابة وصوره الجميلة الموحية

مثال هذه القصيدة:

أسمع صدى صوتك مع ضجّة النّاس
والحسّ يسري للضماير حسوسي
أنسى معاك العزم والفكر وإلاس
وحبّك بقلبي للضّمير امغروسي
واهيم في بحر بالأمواج غطّاس
واسجّ وانسى عن ربوعي جلوسي
قربك شفا للرّوح والنّود نسناس
يامورّد الخدّ المعسّل بالالعاس

ياضي جبينه في الظّلام الدّموسي
العين عين اللّي على الكفّ حبّاس
والصّيد له بمعوّدات الفروسي
ياضي ضيا خدّه كما نور نبراس
والاّ شعاع الشّمس قبل الغلوسي
عنق الخشوف اللى محاوز عن الناس

دق العنود اللى ترب الطعوسي
يرعى زمالج بها الورد نفاس

ثالثا: شعر الحكمة

وقد بثّ شاعرنا حكمته في سائر أشعاره، حتى ولو كانت غزلية أو ألغازاً أو في أي غرضٍ من أغراض الشعر، فلا تجد قصائده تخلو من الحكمة البليغة التي تعكس خبرته العملية ومهارته في فهم الأمور من أشعار الحكمة عنده:

ما اغلى النهار إنّ الليالى تضدّه
لو كان سرمد ما أظنه بينطاق

يزيّد غلا اللولو صعوبة مكدّه
لو هو رخيصٍ ما تعلّق بالأعناق

وحتى ربيع الوقت لو طال مدّه
ما شفت يا خلّي له النفس تشتاق

وهذه قصيدة عاطفية فيها عتاب وشوق وغزل وحكمة:

طال الغياب ولامني من أودّه
وبقدر طول الغيبه يطول العناق

رابعا: شعر الطبيعة والبحر والشمس والليل

وآحبْ وقتْ الهدَدْ والليلْ يضويني
علىَ سوالفْ قنَصْ ومزامَطْ وحِلفانْ

هذا أنا وَإنْ سألتي وشْ يسلّيني
باقولْ لكْ لي يسلّي قايدْ الفرسانْ

مهرَهْ بميدانْ والعاصفْ يباريني
وآحسْ أنّي مَلَكَتْ الأرضْ والأكوانْ

ويعرف تلك (المهرة) التي لن تخذله، هي مهرة ماهرة في الميدان، وفي سباقات التحدي، هي فرس عاصفة لا تغلبها الريح الشديدة الهبوب، هي مهرة عودت صاحبها على الفوز والكسب، فلا تحيد عن الهدف،

وقصيدة أحب:

آحبْ شمسْ الضّحىَ بالنورْ تهديني
وآحبْ صوتْ المطَرْ إذا جرىَ وديانْ
والخيلْ والليلْ وأشواقٍ تناديني
وسجعْ القصايدْ فرايدْ جاريـاتْ ألحانْ
وآحبْ وقتْ الهدَدْ والليلْ يضويني
علىَ سوالفْ قنَصْ ومزامَطْ وحِلفانْ
هذا أنا وَإنْ سألتي وشْ يسلّيني
باقولْ لكْ لي يسلّي قايدْ الفرسانْ
مهرَهْ بميدانْ والعاصفْ يباريني
وآحسْ أنّي مَلَكَتْ الأرضْ والأكوان

الصحراء:
فهو يستشعر الصحراء وتبدل مواسمها وطبائعها، وتظل الصحراء قريبة من قلبه. وقد علمته الصبر والتحمل، وذكر تأثيرها هذا في الكثير من قصائده، مثل قصيدتي "عليهم صابر" و"ياما صبرت"

البحر:
دائماً من أهم مصادر إلهامه، وقد صوره في كثير من قصائده وحمله رموزاً عديدة، مثل قصيدة "شوف تأثيرك":
موجكم طامي ؛وأنا بلجه غريج
في بحور موجها. ؛ غزر العموق

وتنعكس تأثيرات الحياة البرية في شعره، الذي يحفل بالرموز، والتشبيه البليغ.

خامسا: شعر المديح

هذا الشعر الذي يشيد بالمواقف المشرفة، والأعمال البطولية، والأخلاق الحميدة وكلها صفات الإنسان الشجاع الصادق، ومنها:

لولا المواقف ما عرفت الرجاجيل — والرجل يعرف بالشدايد والأفعال
أنا أشهد به ناس وقت البهاذيل — لاجد وقت الجد تطري على البال
من يعجبونك في جميع المداخيل — ناس تعز الطيب من كل مدخال
وما كل رجال يمد الفناجيل — يتبع دروب الطيب في كل الأحوال
وترى العمر ماهوب فريق المشاكيل — والهرج ما يرفع من الناس دجال

ومنها يقول الشاعر:

للطيب مواقف وللمرجلة رجاجيل ... وللخيل فرسانها في ساعة الشدة
وللبيوت أمراس وللقهوة الغنجاجيل ... على مضايف نشامة لها رجال تعده
حناهل المواقف مواقف الشهم الأصيل ... يشهد لنا السيف ويشهد لنا حده
حنا نخاوي الدنيا خوة نجوم الليل ... عد النواظر ما طاوعتنا بعده

سادسا: شعر الهجاء

ومما كتب في الهجاء أن قوماً خرجوا لصيد، فطردوا (ضبعة) حتى ألجأوها إلى خباء أعرابي فأجارها، وجعل يطعمها ويسقيها، وبينما هو نائم ذات يوم إذ وثبت عليه فبقرت بطنه وهربت، فجاء ابن عمه يطلبه فوجده ملقيا فتبعها حتى قتلها وأنشد يقول:

ومن يصنع المعروف في غير أهله
يلاقي كما لاقى مجير أم عامر
أعد له لما استجارت ببيته
أحالب ألبان اللقاح الدوائر
وأسمنها حتى إذا ما تمكنت
فرتــه بأنياب لها وأظافر
فقل لذوي المعروف هذا جزاء من
يجود بمعروف على غير شاكر

سابعا: شعر الرثاء

مثل قصيدة شاعرنا في رثاء ابنه راشد:

يقولون أنك مُتّ . .
متى وُلدت . . !
متى عشت . . !
متى رويتنا من غدير عينيك . .
متى رحلت . . !
يا قرة عين محمد . .
يا فاجعة هند . .
يا زهرةً ما استدلّت النحلات لرحيقك . .
متى حبوت . . !
متى مشيت . . !
متى كبرت . . !

متى . . !
لا أذكر تاريخ مولدك . .
بالأمس كان أم قبل ميلاد تاريخ وفاتك . .
ذاك الذي دوّنته قبل ساعات . .
حين أبلغوني أنك قد رحلت . .
أبكيت أبيك . .
أبكيت والدك . .
أتدري من هو والدك . .
رجلٌ تهزّها الأرض هزاً وطأة قدميه . .
أبكيت محمداً يا إبن محمد . .
أبكيت سيّدة النساء . .
أبكيت أنجال الرجال . .
أبكيت من أبكاهُم الفراق . .
لوداع بانيها الديار . .
ذاك الذي أطلِق عليك إسمه . .
قبل أن ينام . .
وينام بعده راشد . .
واليوم يدفن تحت أرضه
أوّل راشد من بعد راشد . .
يا ويلها العنقاء . .
يا ويلها صاحبة العزاء . .
بالأمس وضعتك وليدها . .
وإليوم تُلبسها ثوب الحداد . .
يا فاجعة دبي . .
يا عيداً لم يعد عيداً سعيداً . .
يا صبراً سندعوه لقلبها . .
يا قوةً سندعوها له . .
يا غافراً . .
رُحماك له . .
يا رحيماً . .
رفقاً بهم . .

ومن الرثاء ما قال شاعرنا بمناسبة ذكرى رحيل مؤسس الإمارات وفقيد الأمة الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان:

ضميت طيفك وكنت انت محل الطيف

محال أني أضم الطيف وآضمّك
لو كان بيني وبينك مثل حد السيف
باحط عنقي ع حد السيف واشمك
يا بوي يا ضيف ع الرحمن وأغلى ضيف
آشوف زولك ولكن ما اقْدَر آلمّك
إلى أن قال:
يا وين زايد ومن للضيف من للسيف
راس الرجال الكبار وفاتني ضمّك
عظيم في الناس مثلك سيدي ما شيف
في طيب نفسك وفي صبرك وفي عزمك
يا رب أسألك عنا الصبر والتخفيف
وان تسكنه في الجنان ويشمله حلمك

ثامنا: الألغاز الشعرية أو الأحجيات

والأحجية قصيدة تضم العديد من الأسئلة ويدعو القراء للإجابة عليها، وهي تختلف عن لغز السطر الواحد التقليدي في القصيدة الغربية، لأنه يثير روح المنافسة ويزكي الطاقة الإبداعية لدى الشعراء، ويشجع الشعراء على التواصل فيما بينهم، والرد على اللغز الذي يطرحه شاعرنا شعراً، كتابة أو شفاهه، ويكون معظم شعرهم من إبداع اللحظة ويجب أن يكون شعراً ويتبع نفس القافية والأسلوب.
وقد أجاد شاعرنا كتابة هذه الأشعار، وكشف من خلالها عن مدى خبرته في اختيار الكلمات وجزالة الألفاظ.

تاسعا: المطارحات الشعرية

وتبادل شاعرنا المطارحات الشعريَّة مع غيره من الشعراء، مثل سمو الأمير عبد الله الفيصل ومع سمو الشيخ زايد بن سلطان، رحمه الله، والشاعر السعودي سمو الأمير خالد بن فيصل، ومع الشاعرة الراحلة عوشة بنت خليفة السويدي «فتاة العرب».
حيث كشفت هذه المطارحات عن مدى قدرته على إثارة الطاقة الإبداعية لدى الشعراء.
وهذا الفن الشعري يلاقي الكثير من الترحيب والتقدير من الجمهور، لأنه يثير روح المنافسة ويزكي الطاقة الإبداعية لدى الشعراء، ويشجع الشعراء على التواصل فيما بينهم.
وقد حققت أشعاره النجاح والتقدير والقرب من المتلقين، فقد اهتم بالقرب من الناس.
ومن أقواله في هذا الصدد: "الموضوعات الأقرب إلى قلبي هي تلك الأقرب إلى الناس".

يقول الشاعر إن كل قصائده نتيجة تجربة شخصية أو موقف حدث، ولم يسبق أن كتب أي بيت دون أن يكون من واقع تجربته الحياتية.

شاعرنا قائد صاحب رؤية ثاقبة وفارس صاحب إنجازات عظيمة، ولم تبق قصائده حبيسة دواوين الشعر، لكنها وصلت إلى قلوب الناس، وتغنى بها نجوم الغناء العربي.

لقد أبدع الشاعر الكثير من الدواوين والكتب. واختلفت إصداراته في موضوعاتها، وجاء بعضها شعرا موزوناً، وبعضها حاملاً لقصص وحكايات حياتية، وأخرى دروساً في القيادة والإدارة.

شعر الفصحى

تأثر شاعرنا منذ بداية إبداعه، بعدد من أبرز شعراء الشعر الفصيح من أمثال المتنبي، وأبي تمام، والبحتري، إذ كان عندما يسافر مع والده، يحتفظ معه بدواوين هؤلاء الشعراء الكبار ليقرأها طوال الرحلة، مما ساعد على تأصيل موهبته.

مثال: قصيدته عن الجميرة
تحدث شاعرنا وبشكل رائع عن خيال الفتى الذي كان يلهو على شطّ البحر مع رفاقه الصغار الذين كانوا يعبرون عن أمنياتهم ضمن الواقع والمألوف، وكيف أنه كان ينفرد عنهم بالتفكير في شيء فوق الواقع والمألوف.
"عندما كنت صغيراً ألعب على شاطئ البحر مع أصدقائي، كانوا يبنون بيوتاً وقلاعاً رملية وأنا كنت أحاول أن أبني في البحر، وكانوا يضحكون". وكان مشروع النخلة والمباني التي في البحر بإنشاء مدينة في جميرا على شكل نخلة في قلب البحر، لتكون بذلك واحدة من عجائب الدنيا الثماني وغدت دبيّ الوجهة الأولى للسياحة العالمية. وأعجب الفنان لطفي بوشناق بقصيدة شاعرنا فغناها.

وفي منتدى الإعلام العربي من 1مايو إلى 2 مايو 2017 في مدينة جميرا، قدمت كلمات هذه القصيدة الرائعة:

كفكف دموعك أيها المشتاق	**فلكل وجد لو علمت مذاق**
ولأنت مفتون بعشقك أمة	**خضعت لعزة مجدها الأعناق**
أواه ما هذا الذي في أمتي	**قد حل حتى اسودت الآفاق**
أطلعتها سرى فضج مطوف	**كانت له المهج العزاز تساق**
وطن يراني فيه صاحب بدعة	**في حبه ويغار كيف أشاق**
وتربعت في خيمة بدوية	**نفس لها بين النجوم رفاق**
مبهورة بهوى القريض أبية	**عربية إنسانها عملاق**

وأخذت أجمع نور حرفي فانتشى قلم له تتنافس الأوراق

وبشعر الفصحى قدم شاعرنا القصائد الكثيرة في حب الإمارات.

قصيدة (مجد الإمارات):

نحن القصيد ونحن اللحن والوتر والقول والفعل والإنجاز والظفر

لنا الصدارة في علم وفي عمل في كل يوم لنا مجد ومفتخر

فتنافس الكون لا تنفك رايتنا خفاقة حينما الرايات تنكسر

لكل مجد سعينا لا نفوته إذ ليس في باعنا عن نيله قصر

وكل ساحة عزٍ عزَ طالبها كنا لها وعلى ما عز ننتصر

عنا روى الدهر والأيام شاهدة مآثرا لم تغير صُبحها الغير

ومن قصائد الرثاء ما قال شاعرنا في شعر العربية الفصحى من أروع القصائد في ذكرى رحيل سمو الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان:

زلزل الأرض مصاب العربِ وتلاقى شرقها بالمغرب

وغدا عاليها سافلها فهي في حزنٍ وأمرٍ عجبِ

ورعودٍ وبروقٍ حفلت بظلامٍ وبليلٍ مرعبِ

إلى أن قال:

نم قرير العين بعد التعبِ يا أبي الأكبر من بعد أبي

أنت ما كنت لشعبي قائداً بل زعيماً لجميع العربِ

وقد صدّر الشاعر الديوان بأحد أبياتها:

لم يكن زايد فينا واحداً بل هو الأمة حين النّوبِ

وأجمل أبياتها هذا البيت الذي يقول فيه:

مَلَكـاً كُنــتَ لنَــا لا مَلِكَـاً فــي تُقَـى شيـخٍ وأخلاقِ نَبــي

حيث يخطر على الذهن بيت للشاعر نزار قباني في رثاء والده يقول فيه:

أمات أبوك؟
ضلالٌ! أنا لا يموت أبي
ففي البيت منه
روائح ربٍ وذكرى نبي

لقد أبدع الشاعر الكثير من الدواوين والكتب. واختلفت إصداراته في موضوعاتها، وجاء بعضها شعرا موزوناً، وبعضها حاملاً لقصص وحكايات حياتية، وأخرى دروساً في القيادة والإدارة.
ويقول الشاعر إن كل قصائده نتيجة تجربة شخصية أو موقف حدث ولم يسبق أن كتب أي بيت دون أن يكون أساسا من واقع تجربته الحياتية.

وشاعرنا قائد صاحب رؤية ثاقبة وفارس صاحب إنجازات عظيمة، ولم تبق قصائده حبيسة دواوين الشعر، لكنها وصلت إلى قلوب الناس، وتغني بها نجوم الغناء العربي مثل: كاظم الساهر، أصالة، سميرة سعيد، حسين الجسمي، لطفي بوشناق، عبد المجيد عبد الله، راشد الماجد وغيرهم كثيرون.

وقد غنت لطيفة التونسية أغنية "فتنة الإرهاب"، وهي قصيدة تحذر من أثر الإرهاب والتعصب على أحوال الإنسانية بشكلٍ عام وأحوال الأمة العربية بشكلٍ خاص، وقد غنتها الفنانة "لطيفة" في حفل توزيع جائزة الصحافة العربية لهذا العام، ومنها:

ليسَ للإرهابِ دينٌ أوْ كِتابْ هُوَ فيما بانَ لي شِرْعَةَ غابْ

ولَهُ أتْباعُ في تفكيرهمْ كُلُّ شيء مُمْكِنٌ إلاَّ الصَّواب

هُمْ مَعَ الشَّيطانِ في أفعالهمْ بل منَ الشَّيطانْ أنْكَى في الخطابْ

منْ مضى في نَهجِهمْ أوْ فعلهمْ خاسرٌ ما حظّهُ إلاّ السَّراب

خبروني ما الذي يجنونَهُ منْ جُنونٍ منهُ رأسُ الطِّفلِ شابْ

الشيخ محمد بن راشد آلِ مكتوم تأملات في عالم الأشعار المغناة للشاعر سمو

واكبت أشعار الشاعر الفارس سمو الشيخ محمد بن راشد آلِ مكتوم المغناة
كل الأغراض الوطنية ، والرومانسية وأحب أن أعرض بإيجاز ملخصا لرؤيته للشعر إذ
قال: الشعر هوايتي، أنظمه للتعبير عما يجيش في داخلي بصورة فنية .. لقد ربيت مع شعراء .. وحفظت كثيراً من القصائد العربية والنبطية مما نمى مخزوني الأدبي وأهلني لنظم الشعر الذي هو إحدى هواياتي المفضلة .. والعرب محبون للشعر .. وكانت القبائل تفخر بشعرائها المجيدين .. لكن الشباب ، وقد شغلتهم مشاغل الحياة والدراسة، ربما انصرفوا عنه في وقت سابق، ولكنني الآن سعيد وأنا أرى الشباب يعودون مرة أخرى إلى الشعر فنحن نفخر بتاريخنا ولا ننساه .. إننا لن ننسى المعتصم والمأمون وصوت المتنبي الذي ما زلنا نردد شعره حتى الآن.
ونحن حين نتأمل أشعاره عموما، وأشعاره المغناة خاصة نجد مصداقا لما أكده عن رؤيته للشعر، (شعراً صافياً، قوي العبارة، واضح المعنى، واللغة فى القصيدة النبطية لديه قريبة جدا من الفصحى، فهو يمتلك ناصية اللغة بحب واقتدار.
ومن القصائد المغناة فى شعره قصائد تتغني بالحب والسعادة، وأخرى تشدو للوطن، والعزة والكرامة.
أشعار كثيرة له ، تحولت إلى أغنيات لُحِّنت وغناها كبار المطربين والمطربات فأطربت الناس وأثرت فى أفكارهم ، وتوجهاتهم ووجداناتهم ، وتذوقهم للغة العربية الجميلة.
وامتزج فيها رقي الكلمة بجمال المعنى، وروعة الموسيقى وجمال الصوت ، وحلاوة الأداء فكل قصيدة غناها الفنانون بأصواتهم كانت رصيدا يفخر كل منهم به في مسيرته الفنية
وإضافة حقيقية لإنتاجه.

أولا الأشعار الرومانسية

وتحتل الأشعار الرومانسية حيزا كبيرا من أشعار الشاعر الفارس الشيخ محمدبن راشد. المكتوم التى غناها كبار المطربين فى وطننا العربى الكبير ووجدت استحسانا ورواجا وإعجابا من المستمعين من مختلف الثقافات والبيئات الاجتماعية، هذه الأشعار التى تغنت بالحب والسعادة
منها قصيدة ليلى
وغناها الفنان التونسي لطفى بشناق

ليلى عن الود مختارة تجافينا ** يا وقت ليلى سقا الله عهد غياتك**
الريم عقبك يريحنا و يغلينا ** وعند اكحل العين عوضنا خساراتك**
يا من لحسنه زمان الوصل لبينا * يوم الهوى كان من فنك وخدعاتك**
كان الصبا فيك فنتنه والعشق فينا * مثل المحامي يدافع عن خطياتك**
زاهي جمالك سبنا وكان يشجينا ** بالسحر من حسن طرفك وابتساماتك**
قلبي الذي كم خدعته في الهوى اسنينا ** ما عاد يقبل دموعك واعتذاراتك
من بعد ما خنتني وارخصت ماضينا ** حاولت لو بالعفو سمحان زلاتك**

كفايهٍ واعترافٍ منك يكفينا ** عن لا تحاول تعيد الوقت لي فاتك**
دع الايام تحكم بين الاثنينا ** ومسير الوقت يتحكم على ذاتك**
سعينا بالوفا لكن ما رينا ** على صادق هوانا باتجاهاتك**
فلا نوفي لمن لا كان يوفينا ** ولا نمشي على طبعك وعاداتك**
اليوم جينا بعدلٍ نطلب الدنيا ** سدد حساب الشقا من دفتر آهاتك**
ولى زمانك وعن حبك تخلينا ** وخرت على الارض بعد العز راياتك**
ما عاد تفجر في قلبي البراكينا * حمرة خدودك ولا مقرون حياتك**
لو كنت الطبيب اللي بيشفينا ** لنفضل العوق عن نحتاج وصفاتك**
هيهات نسمح لعذرلي به اتجيينا ** من عقب ما خنت خسرانه قضياتك**
لا تحاول اترد ماضي له تناسينا ** يكفيك انا سكتنا عن مجازاتك**
على هامات السحب المجد علينا ** بعيدين المدى عن حد نظراتك**
تصافينا ولكن ما تصافينا ** وعيد احساب نفسك في كشوفاتك**
و داوي جروح روحك لا تداوينا ** اظن اكبر عن امابي اصاباتك**

.واللغة العربية النبطية فى القصيدة سهلة قريبة جدا من العربية الفصحى

وهذا (كاظم الساهر)
"يتغنى ببعض الأشعار التي تجمع حوله المعجبين الكثيرين ومنها قصيدة "اغسلي بالبرد

.. اغسلي بالبرد
قلب صبٍ تشهّد
بعد عقل يدله ..
ضاع منه الدليل
ساهر ما رقد ..
لين جفنه تجمد
يسهر الليل كله ..
في نحيب طويل
جمر شوقي توقد ..
في ضميري وعود
بالعنا والكلافة ..
والبكا والعويل
لو لحسنك سجد ..
في هواك وتعبد
واصبح الشوق ملا
.. كان الاجلك قليل واغسلي ..

.. كلما الليل رد
ذكرها له تجدد
علة فوق علة ..
من يداوي العليل
بين صد ورد ..
ناعس الطرف سدد
نظرة منها عجب ..
من تصيبه قتيل
بعد طيب الوعد ..
من أوده تمرد
ما رحم قلبي خله .
وشام عنه الرحيل
سامني بالزهد ..
في غرامي تزهد
منيتي ليت فعله ..
مثل وجهه جميل
.. إن تقربت صد
أو تبعدت هدد
حيريني ياه بدله ..
وين بأمري أميل؟؟
مستحيل البعاد
له دموعي بتشهد
وأنت يا عمري كله ..
قربك المستحيل:

كما غني كاظم الساهر
أغنية (يا بيت العنا)

بي من سبايبْ فاتنات كم فيك من وجدْ و همومْ و مواويلْ الليل يا بيت العنا و العجايبْ
يا حب ترويضي لجفالة مهره جموحه نافره ما اتقاربْ لي طرفها المكحّل بدون تكحيلْ الهدايبْ
بي من صنوف الشوق حاضر و غايبْ الخيلْ
اذا ضواك الشوق يا مبرد والشوق نار و من غريب الغرايبْ شكيت منه الويلْ لي يتلف الحيلْ
من في عجيب أمرهْ يحل المعاضيلْ والشوق برد و صاحب الشوق ذايبْ الليلْ
موال:
وحيدْ و لا شهور؟.. سنين؟.. غيبتكم تراكم؟؟ متى عيني يا أحبابي تراكم مثل غيم الشتا همي تراكم
...عزيز يمر عليَّه

وتأمل الصور الجميلة في الأبيات وما يحدثه الجناس من بلاغة وجمال فى المفردة تراكم واختلاف معانيها مع اتفاق حروفها.

وهذه الفنانة (أصالة نصرى)
تترنم بأشعار شاعرنا الكبير، التى ارتقت بها درجات كثيرة فى مشوارها الفنى ومنها أغنية أسمع صدى صوتك.

أسمع صدى صوتك مع ضجة الناس ,, والحس يسري للضماير حسوسي
أنسى معاك العزم والفكر والياس
وحبك بقلبي للضمير مغروسي ,,
واهيم ف بحر بالأمواج غطّاس ,, واسج وانسى عن ربوعي جلوسي
قربك شفا للروح والنود نسناس ,, ورويك سعدي عن ليالي نحوسي
يا مورد الخد المعسل بالألعاس ,, يا ضي جبينه ف الظلام الدّموسي
العين عين اللي ع الكف حباس ,, والصيد له بمعودات الفروسي
فرخ الحرار مذهب الريش طلماس ,, أشقر عليه م النداره هيوسي
ياضي ضيا خده كما نور نبراس ,, والا شعاع الشمس قبل الغلوسي
كنه يحش القلب مرهوف الأمواس ,, حش الصريم اللي نواه اليبوسي
عليه م فقدي ووجدي والإحساس ,, مثل الضريم اللي عليه محموسي
نار اتواقد هبها نود لساس ,, موقد غضاها م حطبها يبوسي

وأغنية تضحك

..تضحك ومن هجرك فؤادي مكدر.. وتداري أحزاني بضحكة كذوبة
..وجدي تفجّر في ضميري ودمّر
.احصون صبري وما ليه عنك توبة

.ماروع اللغة ، ومأجمل الصور، ومأثرى المضامين

وغنى الفنان (محمد عبده)
:ثم انت الهوي، مضيفاً إلى رصيده عملاً متميزاً، وتقول كلماتها

«يا طول صبري من الهجران يا خلي..

..والروح مني ومن همٍّ يكابدها

..انت الهوى وكل الكل بالكلي
،«وانت الذي بالهوى روحي تعذبها

..يكفيك إنك شفتها دون ميعاد»
..ويكفيك شمن بعيد لعطرها

..الحظ لك في الوقت يا صاحبي جاد

«فرحتك في صدفة لقا يا كبرها

وهناك قصيدة شوف تأثيرك للفنان عبدالكريم عبدالقادر
شوف تأثيرك من الجرح الوثيج.. احتباس الدم في وسط العروق..
..وانحدار الدمع كالسيل الدفيج
..من شوامخ سحبها رعد وبروق

..في قتام الوقت ضيعت الطريج
.ما ظهر في ليلي المعتم شروق

ثانيا القصائد الوطنية

رسالة إلى الأمة

.قصيدة رسالة إلى الأمة واشترك في غنائها الفنانان لطفي بوشناق ، ولطيفة
وهي ملحمة غنائية ،صورت حال الأمة، وما صار إليه ، ومستقبل المنطقة، وقدمت رسالة تحذّر من مغبة التهاون في مواجهة التحديات الكبيرة التي تعترض طريق الأمة، وحملت أبيات القصيدة تساؤلات عن أحلام الوحدة بين العرب، ومآرب من يتربصون بالأمة ويضمرون لها الشر.
:وتقول أبيات القصيدة

..ما يَصنَعُ الشّعرُ فينا أيُّها العَرَبُ. .. ما دامَ قدْ ماتَ في أرواحنا الغَضَبُ

وأينَ مِنَّا يدُ التَّاريخ توقظُنا.. فرُبَّما القومُ ناموا بعدما تَعِبوا

..وأيُّ سيفٍ نضوناهُ لِنَكبتنا.. حتى ولوْ كانَ سيفاً أصلُهُ لُعَبُ ..

يا أمَّةَ الشَّجبِ والتنديدِ ما صنعتْ.. فينا بطولاتُ منْ دانوا ومنْ شجبوا

:قصيدة أسود الجزيرة

عنوان القصيدة لا يخص الخليج فقط، وإنما يقصد الأمة العربية كلها، ويؤكد الانتماء العروبي الخالص لقضايا الأمة.

كما تؤكد القصيدة أخلاقيات العرب وصفاتهم وهم يتعرضون لمواقف الحرب.

وتحت عنوان يشير إلى بسالة جيش الاتحاد وإقدامه وشجاعته ونخوته في قتاله الشريف، إنها تحية فارس إلى فرسان. وهى ملحمة شعرية سياسية، تتضمن مواقف شجاعة هى قصيدة قائد يرى بعين الفارس ومشاعر الشاعر.

ويصور جنود الاتحاد نموذجاً مشرفاً في البطولة والمروءة والشجاعة والإصرار على النصر في بناء فني يشير إلى رؤية سياسية، وأدبية واعية.

لقد عبرت القصيدة، عن رأيه السياسي بلغة شعرية راقية تعكس ثقافته اللغوية الكبيرة ولغته المعبرة السلسة والقصيدة تعلي قيم الأخوة بين الشعوب، العربية وتؤكد قرابة الدم ووحدة المصير وتثبت من جديد أن الشعر سيظل هو تاريخ الأمة وديوان العرب ،الذي يوثق حروبهم وصولاتهم وجولاتهم وكل حياتهم.

لقد عرفنا تاريخنا القديم من خلال الشعر، وهذه القصيدة المعاصرة تسهم في تعريف أجيال المستقبل بأحداث من تاريخنا المعاصر.

وتتحدث عن وقوف دولة الإمارات مع شقيقتها المملكة العربية السعودية ودول التحالف في عاصفة الحزم، وما قدمت من تضحيات وشهداء ماتوا وهم يدافعون عن أمتهم.

ويؤكد شاعرنا في البيت الأول من القصيدة أن الأخطار المحدقة لا تخيفنا وإنما تجعلنا أكثر قوة، وتزيدنا صلابة، وهذا واضح في قوله: وكلما يزيد الخطر نرويه دم

ويشير فى البيتين الثالث والرابع، إلى قضية التلاحم والتضامن مع الشعبين السعودي واليمني، ما يؤكد على المودة والحب وعلاقات النسب والقربى، فهذه الأوطان تحيا بوحدة شعوبها وتضافر جهودهم عند الصعاب والمحن، فهم إخوة فى السراء والضراء.

ويقول الشاعر في قصيدته أسود الجزيرة الإيمانية والوطنية

وفي ألبوم حمل عنوان ومضات، قدم الفنان (حسين الجسمى) مقتطفات من قصائد طوال نظمها سمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم بالشعر النبطي والفصيح، ومنها قصيدة يا إلهى، من وحي زيارته لمكة المكرمة.وتعتبر قصيدة «مُحَمّد» نظماً جميلاً في مدح رسولنا الكريم محمد صلى الله عليه وسلم.

وتحمل قصيدة الدنيا تأملات الشاعر في حال الدنيا والحياة.

وتضمنت تجربة الجسمي في غناء قصائد الشيخ محمد بن راشد أيضا غناؤه لقصائد مسلسل صراع على الرمال، وقصيدة قصر الحصن التي قدمها الجسمي ضمن احتفالات الدولة باليوم الوطني، وقصيدة أسعد شعب.

وكان دعاء نسيم الروح آخر الأعمال التي طرحها الفنان حسين الجسمي بمناسبة الشهر الكريم، ومن قبلها قدم الجسمي أغنية «من دار زايد للسما مسبار» التي تناول فيها مشروع مسبار الأمل الذي أعلن عنه صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم.

المراجع كثيرة منها:

ديوان سمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم مطبعة دبي
هذه رؤيتي
قصتي
قصائد منَّ الصحراء
ديوان زايد
ديوان قصائدي في حب الخيل
سلسلة عالمي الصغير

د. ثريا العسيلي